المسلمون فى شمال القوقاز
من الإرث الروسى القيصرى إلى ما بعد الحرب الباردة

أ. أحمد عبد الحافظ

- **مقدمة:**

أطلق البعض على مسلمي الاتحاد السوفيتي السابق بشكل عام والقوقاز بشكل خاص "وصف المسلمين"، المنسيين وأرجعوا ذلك إلى هامشية منطقة القوقاز مع وقوعها على أطراف العالم الإسلامي، حيث كانت تخوماً للدول الإسلامية المتعاقبة، فضلاً عن جغرافيتها الخاصة التي تجعلها منطقة معزولة طبيعياً عن الأقاليم المجاورة. ولم يكن للمنطقة موقع في السياسة الدولية، إلا إنه مع انهيار الاتحاد السوفيتي وجدت الصراعات الكامنة فرصتها للظهور، سواء في شكل حرب واسعة النطاق، أو مجموعة من النزاعات الحدودية التي خلفتها الحقبة السوفيتية.

وتحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

١- تعاقب على القوقاز في القرن العشرين الحكم الروسي القيصري ثم الحكم السوفيتي وأخيراً الاتحاد الروسي، فهل اختلف تعامل حكام كل حقبة مع شعوب المنطقة؟ وداخل الحقبة الواحدة هل اتخذ هذا التعامل نمطاً واحداً أم شهد العديد من الأنماط واستخدمت فيه العديد من الآليات؟

٢- في ضوء حقيقة أن غالبية مسلمي الاتحاد السوفيتي السابق ليسوا شعوباً سلافية، فكيف أثر هذا البعد العرقي في السلوك السوفيتي، ثم الروسي تجاه مطالب الاستقلال المتعاقبة من جانب مسلمي شمال القوقاز؟

٣- هل يشكل القوقاز فعلياً وحدة إقليمية متجانسة أم أن ما تشهده المنطقة من اضطرابات داخلية يبعدها عن هذا الوصف؟

٤- لماذا فشلت الحربان الشيشانيتان في حقبة التسعينيات في تكوين تحالف قوقازي يقف في مواجهة الروس؟

• التعريف بشمال القوقاز:

ليس هناك اتفاق عام حول تحديد منطقة شمال القوقاز، والمصطلحات الروسية الرسمية مثل "إقليم شمال القوقاز الاقتصادي"، "منطقة شمال القوقاز العسكرية"، ترتبط بالحدود الجديدة للإقليم جنوب الاتحاد الروسي. وقد رسمت هذه الحدود استناداً لاعتبارات إدارية، واقتصادية، وأمنية روسية، وليس لاعتبار الشعوب في المنطقة؛ فهناك جماعات إثنية لا تعيش في وحدات إدارية تحمل اسمها، وكل وحدة تقطنها أكثر من جماعة إثنية. الأكثر من هذا أن الروس يعيشون بأعداد كبيرة في شمال القوقاز، خاصة المدن والمراكز الصناعية في الجزء الغربي من المنطقة. كما أن هناك المصطلح الإثنوجرافي "شعوب شمال القوقاز"، والذي يشمل جماعات إثنية تنتمي لغاتها المحلية لمجموعة لغوية مميزة. وبالمعنى الجغرافي، هي منطقة الجبال المرتفعة، والمنحدرات الشمالية، ومدن جبال القوقاز التي تحاذى الحزام السهلي لجنوبي روسيا وأوكرانيا.[١]

يضم شمال القوقاز سبع جمهوريات تتمتع بالحكم الذاتي، وهى: أديغيا، وداغستان، والشيشان، إنجوشيا، وأوسيتيا الشمالية، والقبارطة/ والبلقار، والقرتشاى/ الشركس، بالإضافة إلى منطقتي ستافروبول وكراسنودار.[٢] ويتوزع في الإقليم ما يزيد على خمسة ملايين نسمة بين نحو (٦٠)قومية، تتراوح أعدادها بين بضع آلاف وعدة مئات من الألوف.[٣] وتشترك العديد من شعوب شمال القوقاز في سمات وقيم ثقافية متشابهة، تطورت من خلال ظروف حياة متشابهة، وتزايدت التشابهات خلال الحرب ضد الاستعمار. فقد اشتهر القوقازيون الشماليون بأنهم مقاتلون أشداء، سواء في حروبهم ضد الغزاة الخارجيين، أو في حروبهم مع بعضهم البعض.[٤] الأنثروبولوجيون والمؤرخون للقوقاز يعرفون أيضاً مجموعة من التقاليد، التي مورست من أجل صياغة روابط قوية، وتحالفات بين جماعات القوقاز. كما أن فكرة تشابه الشعوب القوقازية جينياً وثقافياً، لم يتم إنكارها في الاتحاد السوفييتي، فالقوقاز كان معترفاً به كمنطقة منفصلة تاريخياً وثقافياً. وحتى اليوم مازالت الفكرة موجودة من خلال المصطلح البيروقراطي حديث النشأة "شعوب القومية القوقازية"، وهو مصطلح مستخدم من جانب العسكرية الروسية والإعلام الجماهيري، كجزء من حملة طرد القوقازيين بعيداً عن المدن الروسية. فقد أصبح القوقازيون الذين يعيشون في موسكو على سبيل المثال، ضحايا الفحص المتكرر لجوازات سفرهم في الأماكن العامة، من بين بعض أشكال المهانة الأخرى، مما جعلهم يرون في هذه الظاهرة، وهذا المصطلح الجديد ما يشعرهم بارتباطهم حتى إن كان فقط في كونهم ضحايا.[٥]

أولاً: شمال القوقاز في الحقبة الروسية القيصرية:

أنهى استسلام الشيخ شامل في غونيب عام ١٨٥٩، نطاقاً واسعاً من المقاومة المسلحة في شرق القوقاز، لفترة دامت ربع القرن. وخلال عقود حرب الشيخ شامل، كان هناك صراع آخر لا يقل عنه ضراوة، اشتعل ضد الغزو الروسي، قادته الشعوب الشركسية والتركية في شمال غرب القوقاز. هذه الحروب لم تكن معروفة للغرب بنفس درجة معرفتهم لحروب شامل، خاصة وأن غياب حركة صوفية قوية في غرب القوقاز كان يعنى أيضاً، أنه لم يوجد قائد واحد أو قوة موحدة؛ حيث كانت كل عشيرة أو مجموعة عشائر تميل للقتال بشكل منفصل، رغم محاولات العملاء البريطانيين توحيد صفوفهم ضد الروس.[٦] وبحلول عام ١٨٦٠ تم إخضاع بقية القوقاز عدا الشراكسة، الذين كانوا يتمتعون باستقلال كامل في مناطق تقع حول نهر الكوبان شمالاً. ولم تحقق أول محاولة لتهجير الشركس إلى تركيا، أو مناطق أخرى من الإمبراطورية الروسية، إلا نجاحاً جزئياً، واستمرت الحرب سنتين، وانتهت بانتصار الروس وطرد الشركس من أراضيهم.[٧] وقدر أن حوالي (١,٢) مليون قوقازي شركسي وتركي (قرتشاي وغيرهم) غادروا، وحل محلهم الروس، القوزاق، الجورجيون، وبدرجة أقل مستوطنون أرمينيون. وتتواجد الشعوب الشركسية الآن . مع عدد أقل من الشيشانيين . عبر أنحاء تركيا والشرق الأوسط، ويلعبون دوراً متميزاً خاصة في الأردن، فهم ممثلون في الحرس الملكي وفي مراكز عليا بالجيش.[٨]

شهد عام ١٨٦٠ ظهور الحركة القادرية . والتي تعود جذورها إلى القرن الثاني عشر الميلادي في بغداد . لأول مرة في القوقاز بزعامة داغستاني يدعى "كونتا حاجى كيشييف". في البداية هادن حاجى الروس، ولكن مع ذيوع شهرته، وتضخم عدد اتباعه، وانضمام مريدين من جيش شامل السابق، خشيه الروس وقبضوا عليه ونفوه عام ١٨٦٤.[٩] وفي نفس العام، هاجمت القوات الروسية اجتماعاً لأتباعه في مدينة "شالي" الشيشانية، وقتلت حوالي (٢٠٠) شخص، وتم ترحيل ما يقرب من خمسة آلاف من أتباع المريدية وعائلاتهم إلى تركيا.[١٠] وبالتعاون مع النقشبنديين الجدد، ثار القادريون ضد آل رومانوف في أعوام ١٨٦٥، ١٨٧٧، ١٨٧٩.[١١] وكانت الحرب بين روسيا والإمبراطورية العثمانية في عامي ١٨٧٧، ١٨٧٨،قد قادت إلى ثورة جديدة في الشيشان وداغستان، تم قمعها بوحشية. بعد ذلك تحول كل من أنصار النقشبندية والقادرية من العمل المفتوح، إلى التنظيم السري والتنقية الروحية لمجتمعاتهم، ولكن ظل هدف الثورة النهائية والاستقلال عالقاً بأذهانهم. وفي عام ١٩٠٥ قادت الثورة عبر روسيا إلى مزيد من الاضطرابات والاعتقالات في الشيشان.[١٢]

• **آليات الترويس (الروسنة) في الحقبة القيصرية:**

يمكن القول بأن التعامل القيصري مع مسلمي روسيا، اختلف طبقاً للحقبة الزمنية، والإقليم، والقومية المستهدفة، ودرجة المقاومة التي أبدتها المجتمعات المسلمة لغزاتها.[١٣] فقد تركت تجربة التوسع الاستعماري في القوقاز آثارها على السلطة القيصرية، التي وجدت ضرورة الإبقاء على كثير من المؤسسات التي استحدثها الإمام شامل بدون تغيير، وأبقت على المحاكم الشرعية في الشيشان وداغستان حتى عام ١٩٢٦، حين ألغتها السلطات البلشفية. كما سمحت لأبناء الجبال بحمل السلاح، باعتبار ذلك من مظاهر احترامها لتقاليدهم.[١٤] ولم تكن هناك قبل الثورة البلشفية خدمة عسكرية إلزامية في الشيشان والإنجوش. وعلى الرغم من ذلك، فقد قام عدد من الشيشانيين بالخدمة كأفراد في جيش القيصر، وكان منهم بعض القادة اللامعين مثل "الجنرال إرخسان علييف"، قائد المدفعية الذي قاد الفرقة الثانية الغربية لسيبيريا في الفترة (١٩٠١ . ١٩٠٥). وفي الحرب العالمية الأولى، شكل الشيشانيون فيلقاً عسكرياً في أحد تشكيلات الجيش اشتهر بشجاعته في معارك Carpathian. وكان قادة الحرس الروسي يعتقدون أنه من الشرف لهم الخدمة في هذا التشكيل العسكري، الذي كان يقوده شقيق القيصر، الدوق الأكبر ميخائيل اليكساندروفيتش.[١٥]

ثانياً: شمال القوقاز في الحقبة السوفيتية:

كان المفهوم الشيوعي . قبل عام ١٩١٧ . لتقرير المصير متوافقاً بشكل أو بآخر مع طموحات القوميات الخاضعة للروس، وأعيد التأكيد على المفهوم في المؤتمر السابع لحزب "كل الروس"، المنعقد في أبريل ١٩١٧ في قرار اعترف بأربعة مبادئ:[١٦]

١- حق القوميات غير الروسية في الانفصال عن روسيا.

٢- الحكم الذاتي الإقليمي للقوميات الباقية داخل روسيا.

٣- الضمانات القانونية لحقوق الأقليات.

٤- عدم تجزئة الحزب.

١- شمال القوقاز في عهدي لينين وستالين:

أدى انهيار النظام القيصري إلى المناداة بإمام جديد في شمال القوقاز، وهو "نجم الدين غوتنسكي". ولكن ظهرت شخصية أقوى، وهو الشيخ " أوزون حاجى"، الذي سار على طريق الإمام شامل.[١٧] وكانت الثورة البلشفية قد أثارت لدى القوقازيين آمالاً جديدة للاستقلال، وفي شهر مايو ١٩١٧، كان سكان الجبل في شمال القوقاز قد اتحدوا مع قوزاق التيريك، لانتخاب حكومة داغستانية تيركية مؤقتة لدولة حرة مستقلة وبعد انتصار البلاشفة، أعلنت الحكومة انفصالها عن روسيا، ووقعت تحالفاً مع تركيا.

وفي نفس الوقت أسس كل من الجناح اليساري للراديكاليين الأوسيتيين، والاشتراكيين من أقليات أخرى، جمهورية تيريك سوفيتية، ولكن سرعان ما أسقطها قوزاق التيريك.[١٨] وفي سبتمبر ١٩١٧، أسس مندوبو شعوب شمال القوقاز جمهورية اتحاد أبناء جبال القوقاز، وتشكل برلمان وحكومة لهذه الجمهورية، التي كان هدفها هو بناء جمهورية شمال القوقاز الديموقراطية الفيدرالية، ضمن الاتحاد الروسي الديموقراطي مستقبلاً. وفي ١١ مايو ١٩١٨ أعلن في مؤتمر باتومي عن تأسيس الجمهورية الجبلية المستقلة بحضور مندوبين من تركيا وألمانيا، وفيدرالية ما وراء القوقاز.[١٩] وفي محاولة منه لكسب تأييد الشعوب المسلمة في روسيا وجه لينين في ٧ ديسمبر ١٩١٧، نداء لهم يقول فيه: "أيها المسلمون في روسيا، أيها التتر على شواطئ الفولجا وفي القرم، أيها القيرغيز والسارتيون في سيبيريا وتركستان، أيها التتر والأتراك في القوقاز. أيها الشيشانيون، أيها الجبليون في أنحاء القوقاز، أنتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم وقبوركم، واعتدى على عقائدكم وعاداتكم، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم،ستكون حرية عقائدكم مكفولة، ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم، لا يطغى عليها طاغ، ولا يعتدي عليها معتدٍ. هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم؛ فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل ... إن ذلك من حقكم إذا كنتم فاعلين، واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن حقوق سائر أفراد الشعب الروسي، تحميها الثورة بكل ما أوتيت من عزم وقوة، وبكل ما يتوفر لها من وسائل: جند أشداء، ومجالس لعمال ومندوبين عن الفلاحين، وإذن فشدوا أزر هذه الثورة، وخذوا بساعد حكومتها الشرعية".[٢٠]

بالنسبة للينين مثل الإسلام والمسلمون قوة مجهولة عظيمة، أظهر لها احتراماً مرغماً عليه. وفي المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الروسي في مارس ١٩١٩، صاغ لينين السياسة السوفيتية تجاه الإسلام، ويمكن تلخيصها في كلمة واحدة، وهى "الانتظار". فقد قال لينين: "ماذا يمكننا أن نفعل حيال أفراد، مثل القيرغيز، الأوزبك، الطاجيك، التركمان، والذين مازالوا تحت تأثير شيوخهم؟ هنا في روسيا ساعدتنا خبرة الأفراد السيئة مع البابوات في أن نطيح بهم. ولكنكم تعلمون ما أحدثه قرار الزواج المدني من تأثيرات سلبية. هل يمكننا الذهاب لهذه الشعوب ونقول لهم: سوف نخلصكم من مستغليكم؟ لا يمكننا القيام بذلك، لأنهم تابعون تماماً لشيوخهم. علينا فقط أن ننتظر تطور كل قومية على حدة وفصل عناصر البروليتاريا عن عناصر البرجوازية".[٢١]

في عام ١٩١٩، استمر القتال بين الجيش الأحمر والجيش الأبيض القومي، وبنهاية العام أعلن جزء من داغستان والشيشان وأوسيتيا وقبارطا قيام دولة مستقلة، هي إمارة شمال القوقاز تحت قيادة الشيخ "أوزون حاجى"، الذي كان قد اختار في البداية مهادنة البلاشفة، بعد أن وعدوه باستقلال كامل.[٢٢] وكانت محاولات الجنرال ايفانوفيتش دينكين (قائد جيش الحكومة البيضاء) لقمع شعوب الجبل، قد ساهمت في تحويل القوات البيضاء عن صراعها مع البلاشفة، ومن ثم ساعدت على هزيمتها. وبحلول

صيف ١٩٢٠ كانت القوات البيضاء قد طردت من المنطقة واقتربت من هزيمتها النهائية.[٢٣] وفي نفس العام تأسست لجنة ثورية قوقازية في فلاديقفقاس، لتصبح أساس جمهورية الجبل السوفيتية، وزار ستالين المنطقة للإشراف على عملية التغيير، واقترح باسم حكومته تكوين جمهورية سوفيتية، تضم كل القوقازيين الجبليين الذين وافقوا بدورهم على الاعتراف بالسلطة السوفيتية.[٢٤] ولكن اشترط مؤتمر الشعوب الجبلية ضرورة التزام السوفييت بثلاثة شروط كالتالي:[٢٥]

١- أن الشريعة الإسلامية هي القانون الأساسي للجمهورية الجبلية.

٢- الاعتراف بالحكم الذاتي الكامل للجمهورية في إدارة شؤونها الداخلية.

٣- أن تستعيد الجمهورية ما اقتطعه القيصر من إقليم وشعوب.

وبالفعل تمت الاستجابة لهذه المطالب؛ حيث أعيدت الأقاليم التي أعطيت للقوزاق خلال وبعد الغزو الروسي، وأجبر القوزاق على مغادرة شمال القوقاز، وهو ما كان ملائماً للقيادة الروسية الجديدة التي رأت في القوزاق عدواً أساسياً.[٢٦]

عندما تولى البلاشفة الروس الحكومة في روسيا، كانوا حريصين على تأجيل صراع محتوم مع مسلمي الشرق السوفيتي. لقد كانوا منشغلين بتأسيس قوة في أوروبا عن معالجة مسألة الإسلام. لقد كان عليهم أولاً كسر تأثير الكنيسة الروسية قبل الشروع في مسألة قانون المسلمين، أو التعليم الديني الإسلامي، في شمال القوقاز. كما افتقدوا الحلفاء داخل العالم الإسلامي وكان عدد الشيوعيين المسلمين في السنوات الأولى للسلطة السوفيتية ضئيلاً، وكان المستعدون منهم للقيام بدعاية مضادة للإسلام أقل عدداً. الأكثر من هذا وذاك، أن الشيوعيين السوفيت توقعوا إمكانية امتداد الثورة العالمية لدول أخرى تحوى سكاناً مسلمين. لكل هذه الأسباب، كان التسامح الديني تجاه المسلمين هو السياسة الوحيدة الممكنة خلال السنوات الأولى للنظام السوفيتي.[٢٧] إلا إن مفهوم حق تقرير المصير، الذي نادت به الثورة البلشفية في بداياتها كان يفسره أنصارها بطريقة خاصة، حيث يقول ستالين: "إن مسالة حق القوميات في حرية الانفصال، يجب ألا تختلط بملاحظة أنه لا يعني بالضرورة أن تستطيع القوميات الانفصال في أية لحظة. فنحن أحرار في أن ندعم، أو نعارض الانفصال، طبقاً لمصالح البروليتاريا والثورة البروليتارية". وجاءت هذه المقولة تفسيراً للمبادئ التي طرحها المؤتمر السابع لحزب كل روسيا في أبريل ١٩١٧.[٢٨]

لكن سرعان ما أدرك القوقازيون أنه لا فرق بين روسيا القيصرية وروسيا السوفيتية، ففي أبريل ١٩٢٠، تمكن الجيش الأحمر . بعد احتلال الساحل الداغستاني . من دخول أذربيجان، والإطاحة بالحكومة المستقلة هناك، ليقطع عن شعوب الجبل أي مساعدة من الجنوب، وبعد عام، حول صوفيو الجبال اهتمامهم للخطر البلشفي، الذي لم يتمثل فقط في القوات الروسية الحمراء، ولكن أيضاً في مجموعة صغيرة . ولكن متميزة . من القوقازيين الشيوعيين، مثل "نجم الدين سامورسكي"، والذين قاتلوا

ضد الشيخ أوزون حاجى، من أجل ضم القوقاز للاتحاد السوفيتي.[٢٩] هذه الحرب واسعة النطاق، والتي دخلتها المنطقة، استمرت حوالي تسعة أشهر، هزمت فيها العديد من وحدات الجيش الأحمر، إلا إنه في مايو ١٩٢١ عصف هذا الجيش بآخر المتمردين، بمساعدة المدفعية والطائرات الحديثة، ورغم ذلك ظل نجم الدين غوتنسكي متحصناً بالجبال حتى عام ١٩٢٥، عندما قبض عليه وأعدم. وفي رأى بعض المحللين، فإن هذه الحرب . والتي ربما تكون أعنف صراع محلى حدث خلال الحرب الأهلية الروسية . ربما قد منعت الجيش الأحمر من شن حملات مخططة على إيران والشرق الأوسط.[٣٠]

لم تدم جمهورية أبناء الجبل طويلاً، وبحلول عام ١٩٢٢ كانت كل الجماعات قد نزعت أسلحتها، وفككت الجمهورية تدريجياً إلى مناطق داخل الاتحاد الروسي. وبعد عام، لم يبق في الجمهورية سوى الشيشانيين، والإنجوش، والأوسيتيين الشماليين. وبعد عام آخر، كان على الشيشانيين أن يصبحوا في منطقة ذات حكم ذاتي. وفي عام ١٩٢٤، انقسم الإنجوش والأوسيتيون الشماليون الباقون، وظلت عاصمتهم المشتركة فلاديقفقاس مع الأوسيتيين، ليحرم الإنجوش من المركز الحضري الوحيد ذي المؤسسات التعليمية والصناعية.[٣١] وبذلك انتهت جمهورية الجبل المتحدة حيث أخذت الحكومة الروسية تغير، وتبدل، وتهجر منها وإليها، حسب أهوائها، ثم تغّير المستوى الإداري لهذه الجماعات، مرة تعتبرها أقاليم مستقلة، ثم لا تلبث أن تحولها إلى جمهوريات ذات حكم ذاتي.[٣٢]

مع التفتيت القومي في العديد من المناطق، تدهور بشكل واضح النظام التعليمي والبنية التحتية في هذه المناطق. وبحلول منتصف العشرينيات من القرن العشرين، تأسست هيراركية للقوميات ذاتية الحكم، يترأسها قادة اشتراكيون محليون، وكان ذلك يعنى عدم تشجيع هوية إقليمية مميزة. واستمرت سياسات التفتيت القومي، وسحبت كل أشكال الحكم الذاتي من أيدي القوقازيين، وتغيرت حدود وأسماء المناطق ذاتية الحكم مع تكرار العصيان المسلح بين العديد من شعوب شمال القوقاز.[٣٣] وبلغت الاضطرابات ذروتها في عام ١٩٢٩، احتجاجاً على برنامج التعاونيات السوفيتي، الذي تمت بمقتضاه مصادرة الأراضي الزراعية، وتم نشر عشرات الآلاف من القوات السوفيتية بالمنطقة، واستمر نشاط حرب العصابات الصغيرة حتى عام ١٩٣٥.[٣٤]

هدأت الأوضاع نسبياً في عام ١٩٣٦، عندما وصل الدستور السوفيتي الجديد لوضع هيكل للجمهوريات ذاتية الحكم: داغستان، أوسيتيا الشمالية، القبارطة/البلقار، الشيشان/الإنجوش، أبخازيا، والمناطق ذاتية الحكم في أوسيتيا الجنوبية، القرتشاى/الشركس، أديغيا.[٣٥] إلا إن حرب العصابات الصغيرة عادت لتنشط من جديد في عام ١٩٣٧ عقب عملية للمخابرات السوفيتية، قامت فيها بالقبض على آلاف من الشيشانيين المشتبه فيهم وأعدمتهم.[٣٦] تمت عملية استئصال العناصر المناهضة للسوفيت في جمهورية الشيشان . الإنجوش في ليلة ٣١ يوليو . ١ أغسطس ١٩٣٧، حيث وضعت المخابرات السوفيتية

قائمة بأسماء أفراد تم ترحيلهم للعاصمة جروزنى. في البداية امتلأ سجنا المخابرات في جروزني: السجن الداخلي كان به حوالي ألف سجين مصنفين على أنهم منشقون أشداء، والسجن الخارجي أرسل إليه أربعة آلاف شخص. واعتقل آخرون في أماكن أخرى: خمسة آلاف في الجراج المركزي في جروزنيفت، ثلاثة آلاف في نادى يحمل اسم ستالين، ثلاثمائة في مباني الجيش الجمهوري. وبالطبع، فإن حقوق المواطنة التي تم التأكيد عليها في كل من الدستور السوفيتي ودستور جمهورية الشيشان ـ الإنجوش، تم انتهاكها بلا استحياء خلال القبض والمحاكمة.[٣٧]

تصبح ثورة الشيشانيين ذات دلالة، عندما نقارنها بسلبية العديد من الشعوب الأخرى في مواجهة ستالين، كما تميزت بأنها أول ثورة لا تقودها شخصيات دينية تقليدية، أو شخصيات قبلية مثل الشيخ أوزون حاجى، ولكن كان القادة علمانيين جدد بل أعضاء قياديين في الحزب الشيوعي الشيشاني، لعبوا قبل خمسة عشر عاماً دوراً أساسياً في هزيمة أوزون حاجى، ومن بين هؤلاء: مايربيك شريبوف أحد مديري العموم السابقين، وصاحب خلفية بلشفية مميزة. ولم يختلف هؤلاء الشيشانيون عن كثير من المثقفين المسلمين العلمانيين المؤيدين للاتحاد السوفيتي من قوميات أخرى مثل سلطان جالييف،[٣٨] والذي كان أحد ضحايا التصفية الجسدية لستالين، فقد كان جالييف عضواً مسلماً بارزاً في الحزب الشيوعي، إلا إنه عارض سياسة الحزب تجاه القوميات الرامية لعزل الشعوب غير الروسية في دولة استعمارية.[٣٩]

في مطلع أكتوبر ١٩٣٧،قام شكيرياتوف عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي بزيارة جمهورية الشيشان والإنجوش، واستدعى عددًا كبيرًا من أعضاء لجنة الحزب بالجمهورية، لاجتماع يوم ٧ أكتوبر ١٩٣٧، في بيت ثقافة لينين بجروزني. وخلال الاجتماع أمر شكيرياتوف بالقبض على جميع الشيشانيين الأعضاء في لجنة الحزب الإقليمية وبالفعل تم القبض عليهم فوراً في قاعة الاجتماع، ثم امتدت هذه الأوامر فيما بعد لكل المسؤولين الشيشانيين والإنجوش بالحزب، بدءاً من رؤساء مجالس القرى، ووصولاً لرئيس الجمهورية. كما اتسعت حملة الاعتقالات، لتشمل الشيشانيين المقيمين خارج الجمهورية. واستمرت هذه الحملة حتى نوفمبر ١٩٣٨، عندما تم تجهيز قضية مركز البرجوازية القومية حيث تمت محاكمة ١٣٧ شخصاً ـ كلهم مسؤولون رسميون بالجمهورية ـ بتهم متعددة: البرجوازية القومية، ومعاداة الثورة، والتمرد، والإرهاب التروتسكي، والتجسس، والتخريب.[٤٠]

لكن الشيوعيين الشيشانيين لم ينتظروا سلبيين عندما استشعروا نية ستالين لقمعهم واتبعوا نهج أسلافهم، وانطلقوا نحو الجبال. وفي يناير ١٩٤٠، قاد "حسن إسرائيلوف" ثورة في جبال الشيشان.[٤١] ولد إسرائيلوف في قرية ناشخوى، بإقليم جالانشوز بالشيشان، وبدأ حياته بكتابة الشعر والمسرحيات، وسافر إلى موسكو ليدرس في الجامعة الشيوعية لعمال الشرق وهناك تخلى تدريجياً عن الشعر من أجل

السياسة. وبالاشتراك مع بعض الشيشانيين، أرسل بياناً للسلطات السوفيتية، يطالبها بتغيير سياساتها في الشيشان، وبإقصاء إيجوروف ـ السكرتير الأول للجنة الحزب الإقليمية، ورايبف ـ المفوض الشعبي للشؤون الداخلية. أرسلت الحكومة السوفيتية هذا البيان للسلطات المحلية التي ألقت القبض على إسرائيلوف ورفاقه، إلا أنه مع مطلع ١٩٣٩ قبض على ايجوروف ورايبف بوصفهما من أعداء الشعب، وأطلق سراح إسرائيلوف.[٤٢]

عقب إطلاق سراح إسرائيلوف، عمل على التخلص من السلطة السوفيتية، ومع بداية فبراير ١٩٤٠، كانت لإسرائيلوف السيطرة على جالانشوز، وسایاسان، وشابرلو، وجزء من إقليم شاتو. وكانت جماعات المقاومة تحصل على أسلحتها من المناطق المنعزلة، وبعد تطهير غالبية مناطق الجبال من البلاشفة، عقد مؤتمر قومي في جالانشوز وأعلن عن تأسيس حكومة ثورية شعبية مؤقتة للشيشان والإنجوش، برئاسة إسرائيلوف.[٤٣]

في مطلع صيف ١٩٤١ هاجمت القوات الألمانية النازية الاتحاد السوفيتي، واتهم ستالين كل من ألمان الفولجا، المسخيتيين القرتشاى البلقار، والكالمك، والشيشان والإنجوش، وتتار القرم بالتعاون مع الألمان ضد الدولة الأم.[٤٤] وبعد الغزو الألماني، لم تسمح الحكومة السوفيتية للشيشانيين بخلق تشكيلاتهم الوطنية. وعندما تمت تعبئتهم، أدمجوا بشكل فردى في تشكيلات روسية منفصلة، ولما كانوا لا يتحدثون الروسية فقد عملوا كجنود صامتين، وأجبرهم القادة الروس على الأكل من طعام الجنود الآخرين: لحم خنزير. وبناء على توصيات بعض الضباط الروس، سمحت الحكومة السوفيتية لحكومة جمهورية الشيشان والإنجوش، بإلحاق متطوعين في التشكيلات العسكرية، وتولت الجمهورية إمدادهم بالملبس والمؤن الغذائية. وفي ٤ أغسطس ١٩٤٢، عبرت الدبابات الألمانية على أجساد العديد من العسكريين الشيشانيين والإنجوش، وأخذ بعضهم أسرى، في حين نجح آخرون في تخطى الخطوط الألمانية والانسحاب.[٤٥]

تزامن استسلام الألمان في ستالينجراد في فبراير ١٩٤٣، مع انسحابهم من شمال القوقاز، وأُبعِدَ ثمانية أشهر ـ بعد أن أصبحت معظم أراضى المنطقة في أيدي السوفيت وأبعد الشيشانيون عن معاقلهم ـ أطلق ستالين حملة لتهجير كل القوميات التي اتهمها بالتعاون مع الألمان. وبدأ بالقرتشاى في نوفمبر ١٩٤٣. وفي ٢٢ فبراير ١٩٤٤ قامت قوات تابعة للمخابرات السوفيتية، بلغ عددها عشرات الآلاف، بتجميع وترحيل الغالبية العظمى من شعوب الشيشان والإنجوش، في ساعة واحدة. كما أن القوميات التي طالتها اتهامات ستالين، حذفت من الوثائق الرسمية السوفيتية وكذلك من الموسوعات السوفيتية الكبرى.[٤٦]

بعد عام ١٩٤٤ وترحيل الشيشانيين قامت السلطات السوفيتية والمستوطنون الروس بهدم أحجار مقابر الشيشان، لاستخدامها في رصف الطرق، وبناء المساكن، وعلى الجدران المحيطة تبين اللوحات القرى والأماكن التي حدثت بها المذابح، ففي مذبحة خاياخ قتل سبعمائة شخص، وفي مستشفي أوروس

مارتان قتل (٦٢) شخصاً. يتوسط اللوحات صورة لمصحف وقبضة ترفع سيفاً تعبر عن أن الصفح عن أخطاء الماضي ليس من تقاليد الشيشانيين، ويقول النقش المدون: لن نبكى، لن نضعف، لن نصفح.[٤٧]

في بداية الأربعينيات، قسمت سلطات ستالين مسلمي الاتحاد السوفيتي إلى أربع مجموعات، سعياً لاستخدام آليات للسيطرة عليها من جانب موسكو، عكست التجمعات الجغرافية والسياسية الكبرى للسكان المسلمين في هذا القرن. ضمت المجموعة الأولى مسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان، المجموعة الثانية شملت مسلمي جنوب القوقاز في جمهوريات جورجيا وأرمينيا وأذربيجان، المجموعة الثالثة مثلها مسلمو روسيا الأوربية وسيبيريا، واستقر معظمهم فيما بعد في منطقة السهول في غابات حوض الفولجا الأوسط، المجموعة الرابعة تضم مسلمي شمال القوقاز في المنطقة الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين، ويغطون جمهوريات الشيشان والإنجوش، داغستان، والقبارطة والبلقار، وأديغيا، وإقليمي القرتشاى والشركس، وأوسيتيا الشمالية.[٤٨]

٢- شمال القوقاز بعد ستالين وقبل جورباتشوف:

استمر الاضطهاد المنظم للصوفيين في القوقاز خلال عصر خروشوف؛ حيث اتهموا بالتخريب الاقتصادي، والإرهاب، والعصيان المسلح. وبدأ الشيشانيون والإنجوش المهجرون عودة غير قانونية لديارهم، رغم أوامر الاعتقال ومنع بيع تذاكر القطارات لهم. وعندما بدؤوا يستعيدون قبور أسلافهم ويعيدون دفن الموتى الذين حملوهم معهم من آسيا الوسطى أضحى من الواضح للسلطات السوفيتية أنهم عائدون من أجل العيش في سلام، ولهذا سمح لهم رسمياً بالعودة في عام ١٩٥٧ مع قرار من الكرملين، برأهم من تهمة الخيانة الجماعية.[٤٩] إلا إنه في نفس العام وفيما بدا أنه محاولة لتطبيق سياسة "فرق تسد" ولإضعاف الإثنية الشيشانية، تم اقتطاع إقليمين من القوزاق في منطقة ستافروبول، وأضيفا لجمهورية الشيشان والإنجوش السوفيتية.[٥٠]

بعد مرور عشر سنوات على عودتهم من المنفي، كانت أعلى المناصب التي يمكن أن يطمح إليها الشيشانيون وظيفة مدير مزرعة تعاونية. إلا إنه في عام ١٩٧٣، قامت مظاهرات جماعية في الشيشان تدعم مطالب الإنجوش في أراضٍ منحت للأوسيتيين، ثم ما لبثت هذه المظاهرات أن تحولت للمطالبة بنصيب أكبر من المناصب الرسمية المحلية.[٥١]

وقع حدثان عالميان في عام ١٩٧٩، هما الثورة الإسلامية المسلحة في إيران، والغزو السوفيتي لأفغانستان، والذي قاد إلى حرب دامت تسع سنوات. هذان الحدثان كانا عاملاً حافزاً للأمة المسلمة في الاتحاد السوفيتي، وسبباً لخوف المسؤولين السوفييت من الآثار المحتملة للإسلام الحركي على الشعوب المسلمة التي يسيطرون عليها، خاصة بعد أن بدأ الصوفيون يبسطون أنشطتهم في القوقاز، وينشرون

الكتب الإسلامية، وينظمون الاحتفالات الدينية، وتم تشغيل محاكم الشريعة السرية وفي الثمانينيات، أصبح عدد متبعي جماعات المريدين في شمال القوقاز ستمائة ألف شخص، مثلما كان الحال في عام ١٩١٧.[٥٢]

• آليات السفيتة قبل مجيء جورباتشوف:

كانت حملات التهجير التي تعرضت لها شعوب القوقاز، وسياسات التفريغ والملأ التي اتبعها ستالين، أشهر هذه الآليات. وقدر عدد الشيشانيين والإنجوش الذين حملوا على القطارات في فبراير ١٩٤٤ بـ (٤٧٨,٤٧٩). وعندما أعلن خروشوف على الملأ ما حدث ذكرت تقارير رسمية أنه تم ترحيل (٤٠٠,٤٧٨) وهو ما يعنى أن ٧٨,٠٠٠ آخرين قد ماتوا في الطريق، أو من الجوع والبرد في السهول القازاقية. كما أن هناك آلافًا لم تستخدم معهم القطارات. ففي ست قرى جبلية . حيث كان يصعب تحريك السكان منها في منتصف الشتاء . ساقت قوات المخابرات السوفيتية السكان إلى المساجد وحظائر الماشية وقتلتهم جميعاً، كما قتل المرضى في المستشفيات، وبقيت مجموعة صغيرة من العصابات الشيشانية المتمردة في الجبال، تشن الهجمات على القوات الروسية والمستوطنين.[٥٣]

لكن السياسة السوفيتية لم تقتصر على آليات التهجير، إنما اتبعت أيضاً آليات ثقافية، ففي أواخر العشرينيات من القرن العشرين، تحولت اللغات المكتوبة بالعربية إلى الكتابة بالحروف اللاتينية ثم أمر ستالين بعد ذلك أن تكتب بلغة Cyrillic.[٥٤] وفي عام ١٩٣٠، اعترف لداغستان بإحدى عشرة لغة رسمية، وكان من نتيجة ذلك أن قضى عليها، وحلت محلها اللغة الروسية، وكانت السياسة السوفيتية تسعى من وراء ذلك إلى تحقيق غايتين:[٥٥]

الأولى:- تزويد اللغات القومية المتعددة بمصطلحات وكلمات جديدة روسية، بحيث يزداد الأثر الروسي فيها مع الزمن، وتنقطع صلتها بلغتها الأم، ولقد ازداد أثر اللغة الروسية على تلك اللغات القومية، بحيث لا يستطيع المثقف أن يعرف لغته القومية معرفة تامة، إذا لم يكن محيطاً باللغة الروسية.

الثانية:- جعل اللغة الروسية لغة قومية ثانية لجميع المسلمين؛ أملاً في أن تصبح بمرور الوقت اللغة الأولى لجميع شعوب روسيا، خاصة وأن اللغة الروسية تدرس في المدارس الابتدائية والثانوية كلغة أولى أو ثانية، وهى لغة التعليم الوحيدة في غالبية أقسام المدارس العليا.

في الوقت الذي كان يتم فيه الإلزام بتعليم اللغة الروسية، وإغلاق المدارس التي كانت تعلم التركية والإيرانية، واللغات القوقازية، لم يكن مطلوباً من الروس الذين يعيشون في جمهوريات إسلامية أن يتعلموا اللغات المحلية الخاصة بها.[٥٦]

جاءت فترة الخدمة في القوات المسلحة بعد ذلك لتكون وسيلة سفيتة أخرى. فمنذ الثلاثينيات من القرن العشرين، لا يوجد في الاتحاد السوفيتي وحدة عسكرية قائمة على أساس المنطقة أو القومية بل يوزع الجنود والضباط على الوحدات النظامية في الجيش، فيغرقون في وسط روسي. وربما مثلت الخدمة العسكرية لبعض الشباب . خاصة الريفيين منهم . أول مرحلة تصلهم مباشرة بالقومية الروسية.[٥٧]

كان ممنوعاً خلال الحقبة السوفيتية ممارسة أي تبليغ ديني من جانب أية جماعة في الاتحاد السوفيتي، بينما تم تشجيع التبليغ الإلحادي، وشكل جزءاً فعلياً من سياسة الدولة، ولهذا تبنى كل من دستور ستالين الصادر في عام ١٩٣٦ ودستور بريجنيف ١٩٧٧، قانوناً يميز بين حرية العبادة الدينية التي كانت مقيدة إلى إعلان المعتقدات وأداء الطقوس، والحرية الفعلية في القيام بدعاية إلحادية.[٥٨] كما سعت السلطات السوفيتية إلى هدم جميع المؤسسات الإسلامية، التي يمكن أن تساهم في المحافظة على الشخصية الإسلامية وثقافتها الخاصة بها، ومن أهم تلك المؤسسات: الأوقاف الإسلامية، والمحاكم الشرعية، والمدارس والمعاهد الإسلامية، حيث تمت مصادرة جميع الأراضي المملوكة للأوقاف، على اعتبار أنها قوة مادية في أيدي رجال الدين.[٥٩] وعلى الرغم من تدمير ما يزيد على (٣٠٠)ألف مسجد، وإغلاق ما يزيد على (١٤) ألف مدرسة إسلامية، وخسارة حوالي (٤٥) ألف رجل دين إسلامي، فإن الثقافة الإسلامية التقليدية كانت قادرة على البقاء في ظل الحكم السوفيتي، وهو ما يرجع لوجود ثوابت في الإسلام، وأن ممارسة شعائره . بخلاف المسيحية . لا تحتاج لمؤسسة دينية رسمية.[٦٠]

لم تكتف السلطات السوفيتية، بما سبق بل تدخلت لمنع المسلمين من إقامة شعائر دينهم، حيث منعت فرضين من فروض الإسلام الخمسة، وهما الحج إلى مكة المكرمة، حتى لا يتصل المسلمون السوفيت بإخوانهم خارج البلاد، وفرض أداء الزكاة، حتى لا يتحول لقوة مالية في أيدي رجال الدين. كما هاجمت الفرض الرابع وهو صيام رمضان على اعتبار أنه معطِّل للإنتاج.[٦١] ولكن في ظل سعى خروشوف لاكتساب الحلفاء والانفتاح على العالم، لجأ للاستعانة بالحجاج السوفيت كوسيلة دعائية. وكانت الدعاية التي قام بها الحجاج السوفيت في العالم العربي ذات طبيعة ثلاثية الأبعاد. في المقام الأول .كان الحجاج السوفيت يصرحون في الدول المسلمة بأن هناك حرية عقيدة كاملة في الاتحاد السوفيتي، وهو التأكيد الذي كان يلاقى ارتياباً وشكاً من جانب المسلمين غير السوفيت. المهمة الثانية . كانت هي القول لمسلمي الدول الأخرى إن إخوانهم في الاتحاد السوفيتي، يلقون الرعاية والاهتمام مادياً وثقافياً. ثالثاً وأخيراً . استخدم الحجاج كوسيلة لتصوير الاتحاد السوفيتي كحصن للسلام، وتحفيز المسلمين عبر أنحاء العالم على الانضمام إلى حملة السلام، التي يدعو لها الاتحاد السوفيتي.[٦٢] بعد الحرب العالمية الثانية، ومع الزيادة الهائلة في القوة المادية السوفيتية، ما أبدته دول الشرق الأوسط من قلق وحذر واضحين تجاه الإصرار الغربي على الدفاع العسكري، كل ذلك دفع الحكومة السوفيتية لتغيير تكتيكاتها، وفي نفس

الوقت لإعطاء مزيد من الاهتمام لدراسة الشؤون الشرقية. وفي مايو١٩٥٥، ظهرت مقالة في جريدة الحزب الشيوعي، جعلت من الواضح أن الاتحاد السوفيتي قد عقد النية على بدء برنامج للبحث والنشر عن الشئون الشرقية والأفريقية.[٦٣]

رغم تمتع القادة السوفيت المسلمين بمكانة ضئيلة في الاتحاد السوفيتي، إلا إن النظام السوفيتي استخدمهم كآلية دعائية في العديد من القضايا الدولية، من خلال تصريحاتهم التي اشتملت في الغالب على تعبيرات قوية تشبه خصائص الكتابات الجدلية الشيوعية حول الشؤون الدولية، فتحدثوا عن الجرائم الوحشية للعسكرية الأمريكية، وأن الأمريكيين همجيون، يرتكبون جرائم ضد الإنسانية، وخاصة في الحرب الكورية. كما اتهموا القوى الغربية بانتهاك المعاهدات الدولية تحت ضغوط الطغاة الأمريكيين. كما احتجت تصريحات المسلمين السوفيت على الناتو، وحلف بغداد ومعاهدة سان فرانسيسكو مع اليابان، ودعمت كل مبادرة لمجلس السلام العالمي وكل توصياته ومؤتمراته. وفي عام ١٩٥٦، أدانوا العدوان الثلاثي على السويس، وفي ١٩٥٨، استنكروا اضطهاد الجزائريين، وطالبوا بمنحهم الاستقلال. وكانت التصريحات غالباً ما تحوى اقتباسات قرآنية وأدعية لله أن يعاقب أعداء الاتحاد السوفيتي، ويخرج قوى الظلام –بريطانيا والولايات المتحدة– من الأراضي العربية.[٦٤]

لفترة طويلة، كان المتوقع من القادة المسلمين في الاتحاد السوفيتي مجرد تصريحات لفظية، ولكن مع تنامي العلاقات السوفيتية بالدول المسلمة، تطلب الأمر مزيداً من الخدمات من جانب المفتين السوفيت. لقد كان عليهم أن يلعبوا دوراً في الترحيب بالضيوف الأجانب من الدول المسلمة، وكان يتم إرسالهم في جولات دعائية بالخارج . في زي الحج عادة .، بل إن إمام مسجد موسكو كان يدعى لبعض المهام الدبلوماسية في حالة وجود وفود مسلمة. وكان مسموحاً لهم بإرسال منح مالية للمسلمين في الدول الأجنبية إذا ما كان ذلك سيعطى انطباعاً جيداً مثلما كان الحال مع ضحايا العدوان الثلاثي على مصر، ومتضرري الفيضانات في باكستان. وأضحى لقاء كبير مفتيي آسيا الوسطى وقازاقستان أمراً روتينياً لكل رجل دولة مسلم يذهب إلى طشقند، مثل الرئيس الإندونيسي السابق سوكارنو، الذي كان هناك في عام ١٩٥٦ والرئيس جمال عبد الناصر الذي زارها في مايو ١٩٥٨.[٦٥]

٣– شمال القوقاز في عهد جورباتشوف:

عندما وصل ميخائيل جورباتشوف لقيادة الحزب الشيوعي في عام ١٩٨٥، ورث دولة فاقمت فيها تأثيرات خارجية . مثل تولى الخميني السلطة في إيران وحركة المجاهدين الأفغان . من صعود حركة الإسلام السياسي في الداخل. وفي ظل غياب مستشار مسلم في مكتبه السياسي، وعدم وجود خبرة شخصية في

التعامل مع إقليم مسلم، استمر جورباتشوف في سياسة تقييد النشاط الإسلامي، لمجموعة صغيرة من المؤسسات المصرح لها بالعمل رسمياً، واستخدام صحافة الحزب لتهاجم بعنف البيانات الإسلامية.[٦٦]

مع مجيء جورباتشوف للسلطة، أصبح للشيشانيين مكان في معظم القطاعات. ولكن لم يكن انتصار الشيشان مطلقاً، فلم يحدث إلا في عام ١٩٨٩، أن أصبح شيشاني . دوكو زافجاييف . السكرتير الأول للحزب الشيوعي الجمهوري. الأكثر من هذا، أنه تم تقييد التسهيلات التي منحت للشيشانيين، للتعبير الرسمي والقانوني عن ثقافتهم المحلية.[٦٧]

في نوفمبر ١٩٨٦، وجه جورباتشوف خطاب عمل لموظفي الحزب الشيوعي، دعا فيه إلى كفاح حازم وغير مشروط ضد البيانات الدينية، ودعم الدعاية الإلحادية، كما انتقد أيضاً أعضاء الحزب المحليين، الذين شاركوا في طقوس دينية تنادى في رأيه بآراء لا نفع لها. ألقى الخطاب في طشقند، وهو ما تم تفسيره كهجوم على الإسلام.[٦٨] وفي نفس العام، صدر قرار سرى من المكتب السياسي للحزب الشيوعي، ينص على اعتبار أن الإسلام كان معوقاً للتنمية السياسية والاقتصادية السوفيتية. وبحلول عام ١٩٨٨، كان المسلمون الذين يدعون للإسلام قد طردوا من الحزب الشيوعي، ومنظمة الشباب الشيوعي، كما احتجز أكثر من (٣٠) منشقاً مسلماً في الحبس الاحتياطي، واستمرت صحافةً المصارحةً التي دعا إليها جورباتشوف في إدانة محطات الإذاعة الإسلامية، التي تبثها إيران ومناطق أخرى في الشرق الأوسط.[٦٩] هذا، وقد أثار طلب إنشاء محطة للطاقة البيوكيميائية في مدينة جوديرميس الشيشانية معارضة شعبية واسعة. وفي صيف العام ذاته، تشكلت الجبهة الشعبية الشيشانية الإنجوشية، والتي سرعان ما تحولت من الشعارات البيئية إلى السياسية.[٧٠]

بدأت تنتظم جماعات الحركة الوطنية، وفي ٢٣ نوفمبر ١٩٩٠، تم إنشاء المجلس القومي للشيشان.[٧١] ومرر المجلس قراراً يدعو لسيادة جمهورية الشيشان والإنجوش، وانتخب جوهر دوداييف رئيساً للجنته التنفيذية. وفي ٢٧ نوفمبر تبنى مجلس السوفيت الأعلى لجمهورية الشيشان والإنجوش إعلاناً بسيادة الجمهورية كدولة. وعندما انعقد المجلس القومي للشيشان في ٨ . ٩ يونيو ١٩٩١ أعلن دوداييف أن الاتحاد السوفيتي وآلياته للقمع الاستعماري . الحزب الشيوعي، المخابرات، وزارة الداخلية . قد سلبت من الأمة الشيشانية ديانتها، لغتها، تعليمها، علمها، ثقافتها، مواردها الطبيعية، أيديولوجيتها، أعلامها، كوادرها القيادية، حقها في الحرية والحياة. وأنهى المجلس اجتماعه بالدعوة إلى انتخابات برلمانية ورئاسية مبكرة، لتبنى دستور جديد وقانون مواطنة، وعمل استفتاء عن وضع الجمهورية، ووضع المجلس شروطاً مسبقة لعقد معاهدة مع الاتحاد السوفيتي أو روسيا، وهى: الاعتراف غير المشروط بحق الأمة الشيشانية في تقرير مصيرها، التعويض عن الجرائم التي ارتكبت ضدها، محاكمة المذنبين، إنشاء حكومة قائمة على المبادئ الديموقراطية.[٧٢]

ثالثاً: شمال القوقاز بعد تفكك الاتحاد السوفيتي:

إذا كان تاريخ شمال القوقاز خلال الحقبتين القيصرية والسوفيتية قد تمحور حول المقاومة الشيشانية لمحاولات الهيمنة الروسية، فإن حقبة ما بعد السوفيتية شهدت بروزاً للنقاط الساخنة وبؤر التوتر في شمال القوقاز، وحظيت الشيشان أيضاً بالنصيب الأكبر من الاشتعال، والحظ الأوفر من الذيوع والانتشار، وتلاها الصراع ما بين إنجوشيا وأوسيتيا الشمالية، والأوضاع في القرتشاى والشركس.

١- مطالب الاستقلال الشيشانية في التسعينيات:

أجريت انتخابات برلمانية ورئاسية في الشيشان في ٢٧ أكتوبر ١٩٩١، وشارك فيها ٧٢% من السكان، وحصل فيها دوداييف على ٩٠% من الأصوات.(٧٣) لم تكن طموحات دوداييف قاصرة على مجرد الاستقلال الكامل للشيشان، وإنما أيضاً لتكوين فيدرالية قوقازية. وفي أكتوبر ١٩٩٢، عقد في جروزنى مؤتمر لكونفدرالية شعوب الجبل القوقازية، بقيادة موسى شانيبوف . محاضر جامعي سابق . ألقيت فيه خطابات مناهضة لروسيا، وحث دوداييف الجميع على مقاومة تواجد القوات الاتحادية الروسية في أراضيهم. وعلى الرغم من ذلك تجنبت الغالبية موقفه الصريح من الاستقلال.(٧٤)

وشهد عام ١٩٩٣ تزايد نشاط المعارضة ضد دوداييف، وقد تمركزت هذه المعارضة حول اثنين من القادة، "خوزا سليمانوف" "ورسلان لاباظانوف"، والأخير كان معاوناً سابقاً لدوداييف، وكل منهما دعمته مجموعة من القوات، وطالبوا بإجراء استفتاء في ٥ يونيو ١٩٩٣ حول دخول الشيشان في الاتحاد الروسي وبقاء دوداييف كرئيس، وفي ٣ يونيو قامت قوات الحرس الوطني التابعة لدوداييف، بحملة تطهير للمباني الحكومية من الميليشيات العسكرية المعارضة. وفي ديسمبر ١٩٩٣، شكل عمر أفتورخانوف . شيشاني عمل وزيراً للبترول في الحقبة السوفيتية . المجلس الشيشاني المؤقت والذي ضم أعضاء في الحكومة ممن أزاحهم دوداييف. وطلب من يلتسين الاعتراف بالمجلس كحكومة رسمية للشيشان.(٧٥)

وخلال عام ١٩٩٤ تزايدت حدة المواجهات بين القوات التابعة لدوداييف وقوات المعارضة المدعومة من روسيا، والتي انضم إليها رسلان حسبولاتوف رئيس البرلمان الروسي السابق، الشيشاني الأصل الذي ترك موسكو وعاد لموطنه الأصلي مطالباً بإسقاط دوداييف.(٧٦) وبدأت الحرب الروسية الشيشانية الأولى رسمياً في ديسمبر ١٩٩٤، بعد قرار مجلس الأمن الروسي بتكليف الحكومة الروسية طبقاً للمادة ١١٤ من الدستور، باستخدام كل الوسائل المتاحة لتأكيد أمن الدولة وحكم القانون والدفاع عن النظام العام، ونزع سلاح التشكيلات غير القانونية.(٧٧)

ومع بداية الحرب الشيشانية الأولى، فإن كونفدرالية الشعوب القوقازية . الجهد الوحدوي الذي كان باقياً على الساحة السياسية والوحيد الذي اعتبر تحالفاً عسكرياً . لم يكن قوة يعتد بها من قبل الروس، وذلك للأسباب التالية:[٧٨]

١- لم تستطع الكونفدرالية تسوية الصراعات بين أعضائها، خاصة بين الإنجوش والأوسيتيين، كما لم تنجح في أن تبنى تحالفاً ملموساً مع غير القوقازيين خاصة القوزاق، وهى صراعات يصعب إدارتها خاصة لأن موسكو لها يد فيها.

٢- لم تستطع الكونفدرالية التغلب على الاهتمامات الضيقة للأحزاب السياسية في جمهوريات الكونفدرالية، كما أنه لم يكن هناك في ظل الحكم الشيوعي تاريخ للتكامل الإقليمي، ولهذا فإن الأفراد في الجمهوريات لم تكن لديهم خبرة مع عملية التكامل.

٣- لم يكن قادة حركة الوحدة القوقازية أصحاب خبرة في السياسة، فمعظمهم كانوا مفكرين، ومؤرخين، وشعراء، وكُتَّابًا، ولم يكن هناك قائد واحد متفق عليه من جانب كل الجماعات العرقية، ولم يظهر قائد يستطيع أن يوحد شمال القوقاز كما فعل الشيخ شامل.

٤- القوة التدميرية، التي كانت روسيا على استعداد لاستخدامها ضد الشيشان، أرهبت جيران الشيشان من التفكير في معارضة القوة الروسية. هؤلاء القوقازيون الذين كان من المحتمل أن يساعدوا الشيشان، وجدوا أنه لا يوجد سبب قوى لذلك الجهد الذي سيدمرهم، خاصة وأنهم لن يلاقوا دعماً دولياً. فقد علموا أنهم ليتحدوا، كما فعلوا في الحروب القوقازية السابقة فهم بحاجة إلى مساعدة خارجية مماثلة لتلك التي كانت آنذاك.

لم تنته الحرب الشيشانية الأولى بنتيجة حاسمة، سواء بالنسبة للروس أو الشيشانيين وفي ٢٣ نوفمبر ١٩٩٦، وقع الطرفان اتفاق سلام تمت بمقتضاه الانتخابات الرئاسية الشيشانية في يناير ١٩٩٧، والتي فاز فيها أصلان مسخادوف، والذي وقع مع يلتسين معاهدة سلام في مايو ١٩٩٧، إلا أنه في سبتمبر ١٩٩٩ عادت روسيا لتشن حرباً أخرى على الشيشان.[٧٩]

٢- الصراع بين إنجوشيا وأوسيتيا الشمالية:

عندما تم تهجير الشيشانيين والإنجوش عام ١٩٤٤، قامت السلطات السوفيتية بنقل إقليم بريجوردونيه ذي الأغلبية الإنجوشية إلى جمهورية أوسيتيا الشمالية، ولم يتم إرجاعه لجمهورية الشيشان والإنجوش بعد إعادة تكوينها في عام ١٩٥٧.[٨٠] وفي عام ١٩٧٣، شهدت جمهورية الشيشان والإنجوش مظاهرات جماهيرية، تطالب بإعادة الإقليم، ولكن لم تستجب السلطات السوفيتية لهذه المطالب.[٨١]

في ٢٦ أبريل ١٩٩١، مرر السوفيت الأعلى لجمهورية روسيا الاتحادية قانوناً برد الاعتبار للشعوب المضطهدة، حيث وعد في مادته السادسة بإعادة حدود أقاليمهم القومية التي كانت قائمة قبل أن تغيرها قوى غير دستورية. ومن هنا، اعتقد قادة الإنجوش أن مطالبهم في إقليم بريجوردونيه يمكن تحقيقها، بشكل أفضل، إذا ما بقوا داخل الاتحاد الروسي. وبالفعل مرر مجلس نواب الإنجوش قراراً يدعو لتكوين جمهورية إنجوشية ذاتية الحكم داخل الاتحاد الروسي، وفي الفترة ٣٠ نوفمبر . ١ ديسمبر ١٩٩١، أجرى استفتاء في ثلاث مناطق ذات أغلبية إنجوشية وأيدت الانفصال عن الشيشان. وفي ٤ يونيو ١٩٩٢، تبنى السوفيت الأعلى للاتحاد الروسي قانوناً بإنشاء جمهورية إنجوشيا في الاتحاد الروسي. لكن هذا القانون فشل في تعديل حدود الجمهورية، ولجأ بدلاً من ذلك للمادة الخامسة، التي تقول بأن مفوضية الحكومة الاتحادية الروسية يجب أن تتشاور مع كل الأطراف المعنية، وتقترح حلاً لقضية الحدود بحلول ٣١ ديسمبر ١٩٩٣.[٨٢]

وقاد الفشل في حل قضية بريجوردونيه إلى القتال بين الأوسيتيين والإنجوش، في أكتوبر ١٩٩٢، وتم طرد (٣٥) ألف إنجوشي من أوسيتيا. وقام الاتحاد الروسي بفرض حالة الطوارئ في الجمهوريتين، خلال الفترة (١٩٩٢ . ١٩٩٥). وفي عام ١٩٩٤، وقعت مصادمات عنيفة نتيجة تصدى عدد من الإنجوش لمرور قافلة مدرعات روسية كانت متوجهة إلى الشيشان.[٨٣]

٣- الأوضاع في القرتشاى والشركس:

تضم جمهورية القرتشاى والشركس بين سكانها العديد من القوميات، مثل القرتشيين (٣٠%)، والشركس (١٠%)، والأباظيين (٦,٦%)، والنوغائيين (٣%)، بينما يشكل الروس حوالي (٤٠%).[٨٤]

كانت الأوضاع في الجمهورية هادئة ظاهرياً تحت رئاسة فلاديمير حبييف، على الرغم من أنه لم يكن منتخباً، إلى أن جرت الانتخابات الرئاسية الأولى في تاريخ الجمهورية في ١٦ مايو ١٩٩٩، وسجل فيها الجنرال فلاديمير سيميونوف (قرتشى) فوزاً ساحقاً على المرشح الآخر ستانيسلاف ديريف (شركسي)، إلا أن أنصار ديريف احتجوا على نتيجة الانتخابات ونظموا مظاهرات استمرت أياماً متواصلة حتى نظرت محكمة الجمهورية في النتائج وأقرت شرعيتها. إلا أن المحكمة العليا في موسكو لم تصادق على القرار، وقضت بإعادة الدعوى إلى المحكمة المحلية للنظر فيها مجدداً، وعلى هذا الأساس أصدر يلتسين مرسوماً بوقف صلاحيات الرئيس المنتخب وتعيين فالنتين فلاسوف رئيساً بالوكالة؛ فقامت مظاهرات جماهيرية من الجانب الآخر هذه المرة تنادى بوقف التطاول على الحق الانتخابي، والاعتراف بشرعية سيميونوف.[٨٥]

وفي أثناء اندلاع القتال في الشيشان، أعلن نائب وزير الداخلية الروسي أن الشركس أعلنوا استقلالهم الذاتي من جانب واحد، مؤكدين أنهم سينسحبون من مؤسسات الجمهورية، ورغم أن زعيم الأقلية الشركسية ديريف نفي ذلك، إلا أنه هدد به ما لم يتم إلغاء نتائج الانتخابات الرئاسية. وعلى صعيد آخر، يقول البعض بوجود قوى خارجية يهمها استقلال الشركس مثل تركيا والأردن.[٨٦] ويزيد من حدة المشكلة، أن هناك من الدلائل ما يشير إلى انخراط بعض القوميات الأخرى في داغستان في هذا النزاع، حيث يؤيد الآفار الشركس، في حين يساند الكوميوك القرتشيين.[٨٧]

خاتمة:

إذا كان شمال القوقاز قد شهد خلال القرن العشرين تعاقباً للحكم الروسي القيصري، ثم الحكم السوفيتي، ثم الاتحاد الروسي، إلا إن تعامل حكام كل حقبة مع شعوب المنطقة، رغم تعدد المبررات، وتنوع الآليات، والتكتيكات ما بين التشدد، أو بعض التسامح، إلا إن المحصلة جاءت في النهاية تعبيراً عن هدف واحد، هو محاولة إخضاع هذه الشعوب.

المشكلة التي واجهت القادة السوفيت بعد أن ورثوا الإمبراطورية القيصرية كانت كبيرة ومتعددة الأبعاد، كالتالي:[٨٨]

أولاً:- مفهوم الإمبراطورية يتناقض كلية مع النظرية الشيوعية، لكن الإمبراطورية القيصرية احتوت على موارد طبيعية هامة وضرورية لاستمرار الدولة الروسية.

ثانياً:- التبرؤ من الإمبراطورية . طبقاً للاعتقاد الروسي . جعل آسيا الوسطى وما وراء القوقاز مفتوحتين أمام الهجوم من بريطانيا، مما عرض الأمن الروسي للخطر.

ثالثاً:- كان في آسيا الوسطى ومنطقة السهل القازاقي وحدهما ما يزيد على مليوني مستوطن روسي، والذين . سواء أيدوا الثورة أو لم يؤيدوها . يعتبرون هذه المنطقة جزءاً لا يتجزأ من روسيا، ولا يمكن بسهولة تركها لسيطرة السكان المحليين.

حينما طلب لينين وستالين من مسلمي روسيا ومسلمي الشرق دعم الثورة البلشفية، فقد كانا يفكران فيهم كشعوب مستعمرة ومضطهدة وليس كمعتنقين لدين الإسلام. ولكن الإسلام لم يكن فقط ديانة وإنما أيضاً هو إطار قانوني ونمط حياة وشبكة متكاملة من المؤسسات. وفي مواجهة هذه الأوجه المتعددة للإسلام كان النظام السوفيتي عاجزاً عن التعامل معه بنفس السرعة الهائلة التي اعتاد عليها في حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والأيديولوجية. ولمرة واحدة، اختار اقتراباً بطيئاً وتدريجياً. انطبق ذلك بشكل خاص، على الطريقة التي انتزع بها النظام من الشعوب المسلمة أصولها الثلاثة المؤسسية،

والدينية في نفس الوقت، الأول منها . هي الأوقاف والتي كانت توفر وسائل الصيانة والإنفاق على المساجد والمدارس الدينية، والثانية . مدارس تحفيظ وتعليم القرآن، والثالثة . المحاكم الشرعية.[٨٩]

أما عن أثر البعد العرقي في التعامل مع شعوب شمال القوقاز، فعلى المستوى الثقافي اعتبر الروس أنفسهم أسمى من الشعوب المسلمة في آسيا الوسطى والقوقاز، خاصة فيما يتعلق بأمور الدين، وكانوا يخافون الإسلام كقوة خفية، يمكنها إزاحة سيطرتهم عن المناطق التي بها عرقيات خاضعة لهم.[٩٠] ورغم أن القادة السوفييت كانوا دائمي الإدانة لما وصفوه بالسياسة القيصرية للروسنة، إلا إن السياسة التي اتبعوها انطوت على درجة أعلى بكثير من الروسنة المحققة قبل الثورة، رغم اختلاف الهدف الأساسي. وكان الهدف المعلن هو ثقافة قومية من حيث الشكل، اشتراكية من حيث المضمون. وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت القوة الدافعة للثورة الروسية التأكيد على السمو الثقافي والعقلي للروس على الشعوب الأخرى داخل الاتحاد السوفيتي.[٩١] وبلغت هذه الروسنة ذروتها في عهد ستالين، الذي رغم كونه جورجياً وليس روسياً، إلا إنه كان يعتقد أن تفضيل هذه القومية . باعتبارها تشكل الموجة القومية الرئيسة الأكثر عدداً . سوف يكفل تطويع القوميات المختلفة، وتحقيق الاندماج فيما بينها.[٩٢]

ولكن هناك اختلافاً في الرأي حول مضمون سياسات السفيتة، فغالبية مسلمي الاتحاد السوفيتي يصرون على أن العملية كانت إحدى حلقات الروسنة، في حين يرى بعض الروس أنها لم تكن ثقافة روسية أصيلة، على اعتبار أن المسيحية . خاصة الأرثوذكسية . جزء لا يتجزأ من الثقافة الروسية.[٩٣]

وعلى الرغم من انهيار الاتحاد السوفيتي، واندلاع الحرب مرتين في الشيشان، لم ينجح شمال القوقاز في تكوين تحالف يتصدى للروس، خاصة بعد أن نجحت روسيا في زرع بذور الشقاق بين قوميات المنطقة، وأصرت على بقاء الحدود كما هي، وهى الحدود التي رسمت إبان الحقبة السوفيتية، بشكل يضمن وجود الخلافات بين كل جمهورية وجاراتها.

الهوامش:

(١) Helen Krag & Lars Funch, "The North Caucasus: Minorities at a Crossroads", Report of Minority Rights Group International, (May 1994), http://www.ozemail.com.au/□Karachay/ncauc.html, pp. 1 - 2

(٢) د. محي الدين الخطيب، المسألة الشيشانية: دراسة في حق تقرير المصير واحتمالات التسوية، سلسلة أوراق آسيوية، القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، (العدد ٣١، أبريل ٢٠٠٠)، ص ٣

(٣) د. طه عبد العليم، "مصير الاتحاد الروسي بعد حرب الشيشان"، في د. محمد السيد سليم (محرر)، المشكلة الشيشانية: أصولها وآفاقها، سلسلة أوراق آسيوية، (العدد ١، أبريل ١٩٩٥)، ص ٤٠ . ٤١

(٤) Helen Krag .., op. cit., p. 1

(٥) Paula Garb, "Ethnicity, Alliance Building, and the Limited Spread of Conflict in the Caucasus", in David A. L. Lake & Donald Rothchild (eds.), The International Spread of Ethnic Conflict: Fear, Diffusion, and Escalation, (New Jersey: Princeton University Press, 1988), p. 190

(٦) Anatol Lieven, Chechnya: Tombstone of Russian Power, (New Haven & London: Yale University Press, 1988), p. 314

(٧) مصطفي دسوقي كسبه، الشيشان: بين المحنة وواجب المسلمين، (القاهرة: مطابع الأزهر، ١٩٩٥)، ص ٩٦

(٨) Anatol Lieven, op. cit., p. 315

(٩) David Damrel, "The Religious Roots of Conflict: Russia and Chechnya", Religious Studies News, (Vol. 10, No. 3, Sep. 1995), http://wwwe/□afifi/articles, p. 2

(١٠) Anatol Lieven, op. cit., p. 316

(١١) David Damrel, op. cit., p.

(١٢) Anatol Lieven, op. cit.,. 317

(١٣) Donna E. Arzt, "Historical Heritage or Ethno National Threat? Proselytizing and The Muslim Umma of Russia", (27/02/2000), http://www.law.emory.edu/EILR/volumes/win98/arzt.html, p. 5

(١٤) مصطفي دسوقي كسبه، مرجع سابق، ص ١٠٠

(١٥) Chechen-Ingush Delegation to Ordzhonikidze, Chechen Republic Online, (06/05/2001), http://www.amina.com, p. 5

(١٦) Geoffrey Wheeler, Racial Problems in Soviet Muslim Asia, (London: Oxford University Press, Second Edition, 1962), p. 18

(١٧) مصطفي دسوقي كسبه، مرجع سابق، ص ٩٧

(١٨) Helen Krag .., op. cit., p. 5

(١٩) مصطفي دسوقي كسبه، مرجع سابق، ص ١٠٠ . ١٠١

(٢٠) شانتال لمربيه كلجكي، ألكسندر بينفسن، المسلمون في الاتحاد السوفيتي، ترجمة: إحسان حقي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٧)، ص ٣١٧، ص ٣١٩،

نقلاً عن:

د. عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب، تأثير الثقافة السوفيتية على الأقلية المسلمة بالاتحاد السوفيتي، في الأقليات المسلمة في العالم: ظروفها المعاصرة، آلامها، وآمالها، (الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٩٨٦)، ص ٦٥

(٢١) Walter Kolarz, Religion in the Soviet Union, (London: Macmillan, New York: St Martin's Press, Second Edition, 1962), p. 407

(٢٢) Helen Krag .., op. cit., pp. 5 – 6

(٢٣) Anatol Lieven, op. cit., p. 317

(٢٤) Helen Krag .., op. cit., p. 6

(٢٥) د. محي الدين الخطيب، مرجع سابق، ص ٤

(٢٦) Helen Krag .., op. cit., p. 6
(٢٧) Walter Kolarz, op. cit., pp. 406 – 407
(٢٨) Geoffrey Wheeler, op. cit., p. 18
(٢٩) Anatol Lieven, op. cit., p. 317
(٣٠) Ibid, pp. 317 – 318
(٣١) Helen Krag .., op. cit., p. 6
(٣٢) مصطفي دسوقي كسبه، مرجع سابق، ص ١٠٢
(٣٣) Helen Krag .., op. cit., p. 6
(٣٤) Anatol Lieven, op. cit., p. 318
(٣٥) Helen Krag .., op. cit., p. 7
(٣٦) Anatol Lieven, op. cit., p. 318
(٣٧) Chechen-Ingush Delegation .., op. cit., pp. 2 – 3
(٣٨) Anatol Lieven, op. cit., p. 318
(٣٩) Donna E. Arzt, op. cit., p. 6
(٤٠) Chechen-Ingush Delegation .., op. cit., p. 3
(٤١) Anatol Lieven, op. cit., p. 318
(٤٢) 1940-Israilov's Insurrection, Chechen Republic Online, (06/05/2001), http://www.amina.com, p. 1
(٤٣) Ibid, p. 2
(٤٤) مصطفي دسوقي كسبه، مرجع سابق، ص ١٠٢ . ١٠٣
(٤٥) Chechen-Ingush Delegation .., op. cit., pp. 5 – 6
(٤٦) Anatol Lieven, op. cit., p. 319
(٤٧) Ibid.
(٤٨) Donna E. Arzt, op. cit., p. 4
(٤٩) Ibid, p. 7
(٥٠) Anatol Lieven, op. cit., p. 322
(٥١) Ibid.
(٥٢) Donna E. Arzt, op. cit., p. 6
(٥٣) Anatol Lieven, op. cit., p. 319
(٥٤) Donna E. Arzt, op. cit., p. 6
(٥٥) د. عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب، مرجع سابق، ص ٦٦
(٥٦) Donna E. Arzt, op. cit., p. 6
(٥٧) د. عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب، مرجع سابق، ص ٦٧
(٥٨) Donna E. Arzt, op. cit., p. 2
(٥٩) د. عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب، مرجع سابق، ص ٦٧
(٦٠) Donna E. Arzt, op. cit., p. 7
(٦١) د. عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب، مرجع سابق، ص ٦٨
(٦٢) Walter Kolarz, op. cit., p. 431
(٦٣) Geoffrey Wheeler, op. cit., pp. 57 – 58
(٦٤) Walter Kolarz, op. cit., pp. 429 – 430
(٦٥) Ibid, p. 430
(٦٦) Donna E. Arzt, op. cit., p. 7
(٦٧) Anatol Lieven, op. cit., p. 332
(٦٨) Donna E. Arzt, op. cit., p. 7
(٦٩) Ibid, pp. 7 – 8

(٧٠) Perestroika and the Breakup of Soviet Empire, ASE Chechnya Brief, (06/05/2001), http://www.wdn.com/asf, p. 1

(٧١) د. محي الدين الخطيب، مرجع سابق، ص ٥

(٧٢) Perestroika and the Breakup .., op. cit., pp. 1 – 2

(٧٣) د. محي الدين الخطيب، مرجع سابق، ص ٦

(٧٤) Edgar O'Ballance, Wars in the Caucasus: 1990 – 1995, (New York: New York University Press, 1997), p. 171

(٧٥) Ibid, pp. 173 – 174

(٧٦) د. نيفين عبد الخالق، "المسلمون في الشيشان"، تقرير الأمة في عام، القاهرة: مركز الدراسات الحضارية، (١٩٩٥)، ص ١١٧

(٧٧) د. محي الدين الخطيب، مرجع سابق، ص ٦

(٧٨) Paula Garb, op. cit., pp. 194 – 195

(٧٩) لمزيد من التفاصيل عن الحرب الشيشانية الثانية، انظر:

. أحمد عبد الحافظ، "مسلمو شمال القوقاز بين دوافع الاستقلال وعوائقه: من الحرب الشيشانية الأولى إلى الحرب الشيشانية"، حولية أمتي في العالم ١٩٩٩، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، (العدد ٢، ٢٠٠٠)، ص ٥٧٩ . ٦٠٣

(٨٠) Perestroika and the Breakup .., op. cit., p. 2

(٨١) Anatol Lieven, op. cit., p. 322

(٨٢) Perestroika and the Breakup .., op. cit., p. 2

(٨٣) الشرق الأوسط، (١٩٩٩/٩/٢)، ص ٧

(٨٤) الوسط، (١٩٩٩/٨/١٦)، ص ١٣ . ١٤

(٨٥) المرجع السابق، ص ١٤

(٨٦) الشرق الأوسط، (١٩٩٩/٩/١)، ص ٧

(٨٧) الشرق الأوسط، (١٩٩٩/٨/٧)

(٨٨) Geoffrey Wheeler, op. cit., p. 10

(٨٩) Walter Kolarz, op. cit., p. 406, p. 412

(٩٠) Geoffrey Wheeler, op. cit., p. 8

(٩١) Ibid, p. 33

(٩٢) د. خالدة شادي، الصراعات القومية عابرة الحدود، في د. مصطفي علوي (محرر)، الوطن العربي وكومنولث الدول المستقلة، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٩٤)، ص ٣٥٧

(٩٣) Geoffrey Wheeler, op. cit., p. 33